تصاعد الخطاب الطائفي بعد انهيار النظام السوري وتداعياته على العراق والمنطقة

بقلم: م.م. حسن فاضل سليم/ باحث في مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية

14 شباط 2025

حقوق النشر محفوظة لمركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

لا يجوز نشر أي من هذه الابحاث والدراسات والمقالات الا بموافقة المركز، ويجوز الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا، وليس من الضروري ان تمثل المقالات والابحاث والدراسات والترجمات المنشورة وجهة نظر المركز وانما تمثل وجهة نظر الباحث

ملخص

فرزت التطورات المتسارعة على الساحة السورية وانهيار النظام السوري وسيطرة جماعات المعارضة، تصاعدا في الخطاب الطائفي من قبل هذه الجماعات وانصارها في داخل وخارج سوريا نتيجة لخلفية هذه الجماعات السلفية الطائفية ونتيجة لمشاعر القوة التي انتشرت في صفوف انصار التنظيمات الارهابية في المنطقة ومن يتبنون الخطاب السلفي الاقصائي تجاه الشيعة بعد انتصار المعارضة السورية المتأسلمة، والذي ادى الى انسحاب ايران وفصائل المقاومة العراقية وحزب الله اللبناني من سوريا، لذلك تحاول هذه الورقة تحليل اسباب تصاعد الخطاب وتفكيك اهم السرديات التي يطرحها ومحاولة التنبؤ بالتطورات في هذا الخطاب وما سينجم عنه من تداعيات مستقبلية على سوريا والعراق ولبنان.

اولا: اسباب تصاعد الخطاب الطائفي:

ان الخطاب الطائفي على المستوى الاقليمي لم يصل لشكله الحالي الا بعد الاحتلال الامريكي للعراق عام 2003 وما افرزه من خطاب طائفي قادته دول الخليج ضد العراق بهدف زرع بذور الصراع السني-الشيعي في البلاد وهو ما نجم عنه مواجهات طائفية في عام 2006 وتطور كبير لتنظيم القاعدة ، فيما عادت دول الخليج لتغذي الخطاب الطائفي عند اندلاع الازمة السورية عام 2011 ليأخذ الصراع في سوريا طابعا طائفيا بدلا من ان يأخذ طابع الصراع بين شعب ونظام استبدادي، فنشأت اخطر التنظيمات الارهابية التي تمكن من خلالها تنظيم القاعدة في العراق من تطوير نفسه ومد نفوذه ليتحول الى تنظيم داعش الارهابي في العراق والشام.

واليوم وبعد سنوات من الانتصار على التنظيمات الارهابية في العراق وسوريا واحتواء المعارضة السورية تمكنت الاخيرة من اسقاط النظام السوري لتعيد بذلك مع داعميها من دول الخليج انتاج الخطاب الطائفي ضد المكون الشيعي في سوريا وفي المنطقة، حيث برزت رمزيات تاريخية لشخصيات مثار جدل باتت تمثل هوية طائفية للدولة السورية الجديدة مثل الشخصيات الاموية، التي باتت تمثل دولة سوريا الجديدة حيث يطلق حكام سوريا الجدد على بلادهم مسمى سوريا الاموية، وعاصمتها دمشق الاموية.

اما من الاسباب الاخرى لتنامي الخطاب الطائفي هو تصاعد نشاط الذباب الالكتروني الخليجي والامريكي بالإضافة الى الصهيوني منه، حيث تنشط الحسابات السعودية والاماراتية التابعة لمركز الاعتدال في بث الخطاب الطائفي ضد الشيعة مستغلين فرصة تراجع حزب الله في لبنان وخسارة محور المقاومة لسوريا التي باتت تخضع لسيطرة المحور الامريكي-الخليجي-التركي،حيث تنشط حسابات الذباب هذه في التركيز على مهاجمة الشيعة العراقيين منتحلةً اسماء سنية عراقية وكذلك بلهجة عراقية تهدف لتحشيد السنة العراقيين والسنة العرب ضد الشيعة والحشد الشعبي العراقي وسائر فصائل المقاومة العراقية، كما تستهدف المرجعية والمقدسات الدينية الشيعية، بهدف بث اكبر قدر من الاستفزاز للشيعة العراقيين بما يؤدي لاقتتال طائفي.

اما الذباب الصهيوني فيعمل على تعزيز الخطاب الطائفي من خلال حسابات تحمل تارة اسماء سورية سنية او عراقية شيعية بهدف بث الخلاف بين الشعبين العراقي والسوري على اساس طائفي وكذلك بث الخلاف بين السنة العراقيين والشيعة العراقيين، بعدما ساهمت عملية طوفان الاقصى في توحيد جميع المسلمين نحو قضيتهم المركزية وهي قضية فلسطين، ومن الجدير بالذكر ان الوحدة 8200 هي التي تضطلع بهذا الدور.

بالمقابل مازال مدوني محور المقاومة والاطار التنسيقي يفتقدون للغة الخطاب الاحترافية في مواجهة الخطاب الطائفي بل يعملون على تعميقه من خلال مساهمتهم ايضا باستفزاز سنة سوريا وكذلك سنة العراق في كل قضية وكل حدث مما يعمق الشرخ ويحقق اهداف العدو في تعزيز الخطاب الطائفي بدلا من اعتماد خطاب وحدوي اكثر ذكاءً لمواجهة الخطاب الطائفي

للعدو الصهيوني وحلفاءه في المنطقة بهدف تفويت الفرصة عليهم في اشعال الاقتتال الطائفي في المنطقة.

ثانياً: تفكيك لغة الخطاب الطائفي السوري وسط تزاحم السرديات

من خلال متابعة وسائل التواصل الاجتماعي بعد سقوط النظام السوري يمكن ملاحظة تغير لغة الخطاب الطائفي السني نحو استخدام رمزيات محددة ذات طابع تاريخي مرتبطة بتاريخ سوريا الاسلامي، بهدف تكوين هوية سورية جديدة على اساس طائفي، فتم طرح سردية (سوريا الاموية) و عاصمتها (دمشق السنية الاموية) وهي سردية تهدف الى الغاء كافة الطوائف السورية ومحو الطابع المدني للمجتمع السوري بهدف تطبيع الشعب السوري طائفياً على الهوية السنية الاموية المتطرفة، حيث ان الهوية الاموية تقصي الجميع اليوم وتنتهك حقوقهم كما كان يفعل بني امية من قبل.

وان كانت السردية الاموية تستهدف الشيعة بصورة كاملة ومطلقة بما فيها رموزهم الدينية من شخصيات آل البيت وسط نشوة الانتصار الذي يعيشونه هذه الايام، فأن هناك سردية ثانية بدأت تبرز في اليومين الاخيرين مع اندلاع الاشتباكات على الحدود اللبنانية السورية، حيث بات مدونو الجولاني على شبكات التواصل الاجتماعي يروجون لفكرة ان جماعة الجولاني احق باهل البيت من الشيعة، اذ تقوم السردية على اساس ان الشيعة غير مسلمين والسنة هم المسلمين (السنة السلفيين بالتحديد) بالتالي فانهم احق برموز المسلمين من اهل بيت النبي من الشيعة الذين قتلوا اهل بيت النبي،حيث نشر مدونو الجولاني الاتي" لقد صرخ مقاتلو حزب الله يا علي مدد قبل ان يأتيهم لواء علي بن ابي طالب ويقضي عليهم" في اشارة مدروسة على ان جماعة الجولاني يمثلون الامام علي عليه السلام حسب وصفهم، بل ان جماعة الجولاني حينما اطلقت اسم الامام علي عليه السلام على احد الويتها كان ذلك ضمن خطة مدروسة تهدف لتحقيق هذه الغاية، ويتفرع من هذه السردية لغة مفادها ان الشيعة العراقيين هم من قتلوا الامام الحسين عليه السلام بالتالي هم اهل غدر ولا امان لهم، حتى راح الكثير من مدوني الجولاني يحذرونه من زيارة العراق في القمة العربية المقبلة خشية ان يغدر به العراقيون كما غدروا بالحسين عليه السلام في استعارة لغوية مدروسة تهدف لتطبيع فكرة ان الشيعة العراقيين كاذبين في حبهم لأهل

البيت وان السنة السلفيين احق منهم بذلك، وقد تطورت سردية سوريا السنية الاموية لتشمل هجوما يشنه انصارها على المذاهب السنية الاخرى مثل الاشاعرة والاباضية والحنفية في محاولة لتطبيع فكرة يسعى لها السلفيين بشكل دائم وهي ان السنة هم اتباع السلف الصالح .

اما السردية الاخيرة فهي التي يطرحها مدونو الجولاني وبعض الذباب السعودي والتي ترتبط بالعراق حيث يرفعون شعار اعادة العراق الى الحضن العربي واعادة بغداد العباسية وهو ما يتواءم مع تاريخ بغداد العباسي.

بالتالي وسط تزاحم السرديات يمكن تصنيف تلك السرديات الى:

1-السردية الاموية المطلقة:

2- سردية نحن احق من الشيعة باهل البيت.

3-سردية بغداد العباسية

4-سردية السنة السلفيين المسلمين دون غيرهم.

ثالثاً: تداعيات تصاعد الخطاب الطائفي على العراق والمنطقة

يمكن القول ان سردية سوريا الاموية الهمت بقايا حزب البعث وداعش في العراق ليقوموا باستعارة هذه الرمزية بما يناسب العراق نحو اطلاق رمزية (بغداد العباسية) بمساعدة الذباب السعودي، حيث باتوا يستخدمون هذه الرمزية في اطار الحرب النفسية التي تستهدف الشيعة بصورة عامة وجمهور محور المقاومة بصورة خاصة، في وقت يدرك فيه هؤلاء صعوبة تكرار السيناريو السوري في العراق دون الاعتماد على الشيعة فيه، حيث لا يمكن تهميشهم مجددا كما كان سابقا بعد ما اكتسبه الشيعة من قوة عسكرية وسياسية وثقافية، بالتالي يعول هؤلاء على بعض الحركات السياسية المعارضة المختلطة مثل حركة المجلس الوطني للمعارضة العراقية

الذي يقوده السنة ويضم بعض الشيعة ويتغلغل فيه حزب البعث بهدف تحقيق الاهداف التي يسعون اليها من ازالة النظام الحالي والعودة للسلطة.

لكن من تداعيات هذا الخطاب الطائفي المتصاعد ونتيجة لحالة الاستفزاز المتبادلة يمكن ان تكون البيئة المحلية والاقليمية خصبة لنمو الجماعات المتطرفة وتوسعها وعودة الاشتباك الطائفي ولاسيما في العراق ولبنان لاسيما مع وجود مؤشرات على ذلك من خلال مطالب قد تنشأ بحجة اخراج الحشد الشعبي من المناطق السنية، او الدعوة لإقامة الاقليم السني، او السعي لإطلاق سراح المعتقلين السنة كلها تمثل اسباب محتملة قد تتطور لتؤدي لصراع طائفي في العراق مجدداً، حيث قد تقوم بعض الوية الحشد الشعبي ومنها الحشد العشائري بالاشتباك مع الالوية الاخرى في سيناريو محتمل في حال تأليب الرأي العام في المناطق السنية ضد الحشد الشعبي، فضلا عن امكانية الاصطدام بين قوات الحشد التابعة لاثيل النجيفي مع قوات الحشد الشبكي في الموصل وقوات حشد التركمان في كركوك وقد يكون ذلك بدعم من القوات التركية لاسيما وان هؤلاء تم تدريبهم سابقا من قبل تركيا.

اما في لبنان يمكن ان تعمل المجتمعات السنية في طرابلس وبدعم من جماعات الجولاني بالاشتباك مع حزب الله وبيئته الحاضنة، بهدف تقليص نفوذه العسكري وخلق حالة من الانهاك لقوات الحزب وبيئته المجتمعية تمهيدا لتهميشهم سياسيا واجتماعيا وبدعم من الكيان الصهيوني وعملاءه في لبنان.

كل تلك التداعيات ستعزز من دور دول الخليج والولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني وتركيا بهدف الوصول الى النتيجة النهائية التي ستؤدي لتقسيم المنطقة الى دويلات اصغر، على اساس طائفي واثني بعضها قد يكون موالي للكيان الصهيوني، وبعضها معادي له، لاسيما وان الهويات الفرعية الاثنية والطائفية اليوم تطغى على الخطاب العام و تقفز للمستوى الذي تحولت فيه الى هويات اساسية لشعوب المنطقة بدلا من هوياتهم الشاملة العربية والاسلامية